

فهذه هي الحقيقة الكبرى التي ضلَّ أكثر الخلق عنها ، رغم وضوحها في نفسها ، وهي حقيقة التوحيد : توحيد الربوبية ، وتوحيد الحاكمية ، وتوحيد العبادة ، فلا يتخذ غير الله رباً ، ولا يبتغي غير الله حكماً ، ولا يعبد غير الله إلهاً ، وهذا هو الدين القيم حقاً ، دين الفطرة ، ولكن ضلَّ عنه أكثر الناس لأسباب وموانع شتى .

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الروم ، بعد أن عرض لوحة رائعة من آيات الله تعالى في الآفاق والأنفس : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فطَرَتَ اللهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وفي سورة سبأ نجد حقيقتين مهمتين جهلهما أكثر الناس :

الأولى : عموم الرسالة المحمدية لكل البشر ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

والأخرى : مسألة الرزق ، بسطاً وقبضاً ، وسعة وضيقاً ، وأنها بيد الله سبحانه وإن كان لها أسبابها ، منها ما هو معروف ، وما هو مجهول ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وفي سورة الزمر نقراً قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ، بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

(٢) سبأ : ٢٨

(٤) الزمر : ٤٩

(١) الروم : ٣٠

(٣) سبأ : ٣٦